الأستاذة: د. أمينة أونيس
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
السنة الدراسية: 2023/2022.
السداسي الأوّل

المادة: التجريب في الأدب الجزائري المعاصر
(محاضرة)
الاختصاص: الأدب العربي الحديث والمعاصر.
السنة: الثانية ماستر.
الأفواج: 01 + 02 + 03 + 04.

محاضرة رقم: 03

السلطة السياسية والأدب الجزائري

الوعي السياسي في الرواية العربية :

نعني بالرواية السياسية تلك التي تنصب على مناقشة الأفكار السياسية وبرامج الأحزاب النظرية والعملية، وتحديد تصورات المذاهب السياسية وتبيان مواطن الاختلاف وتشابهها، مع رصد جدلية الصراع بين الحاكم والمحكوم، والعمل مع أرباب وسائل الانتاج، واستجلاء الفكر النقابي والنضال السياسي وما يستتبعها من اعتقال وقهر وحبس للمواطنين المناضلين في الزنازن وسجون التعذيب والتطهير ، فهي النوع الأدبي الأقدر على نطاق المسكوت عنه في الخطاب الثقافي والاجتماعي العام، والنوع الأجسر في مواجهة القمع وتعرية مشاكل التعصب.

فهي تكشف عن الفساد المتفشي على تعدّد مناحيه في مختلف المؤسسات، وتطرح قضية العدالة الاجتماعية والسلطة وعلاقتها مع المواطنين والاحتكار والاستغلال، وتتوغل في الصراعات بأنواعها العرقية والدينية والطائفية، وتتوسع لتشمل كل الأزمات الطاحنة التي ألمت بالعالم، فتنتقل من أداة للإبداع إلى أداة للاتصال والتواصل، لتلعب دور الوسيط في فهم الواقع فهما فنيا ابداعيا لما هو ظاهر أو باطن في حياة الانسان على الأرض، بكل طموحه ومشاعره وآلامه وحتى أخطائه.

ظهر في الوطن العربي من الكتاب، ممن كانت تحاربهم الروائية شهادة مثقلة بالأحداث والخبرات، والتجارب التي تحيل بالذات العربية المختنقة التي جفت علها كل منابع الدعم، وبأخبار المأساة والدم، والاضطهاد السياسي، فهي "تشهد ..الجانب وبكل صدق على تعفن الواقع العربي وترديه على جميع المستويات، ولا سيما المستوى السياسي نظرا لغياب حقوق السياسي الانسان وغياب الديمقراطية وفشل التجارب السياسية المستوردة وتفشي ظاهرة البيروقراطية والانتهازية والوصولية والمنفعة على حساب المبادئ والقيم.

ولا شك أن هناك دوافع عديدة تقف خلف هذه الأعمال التي تبقى شاهدة على ما فسد على مر السنين الطويلة، ولا غرابة عندما يتحول الفن الى سلاح، فترفع الحدود بين السياسة والفن، ويتحول الكاتب الى مناضل يحمل هموم وطنه ويقاتل من أجله، ولا سيما اذا كان قد ولد في وسط الجوع والموت، والمرض والخراب، والحرمان والقسوة والظلم، وأعتقد أن هذا هو السبب في لجوء الكثير من الكتاب بخيالهم الروائي لإشفاء جراحهم الكامنة في نفوسهم؛ كما أنها تورط القارئ فتدخله في جوها وتضيق عليه، وتجعله يحس بما مثله الأدباء في رواياتهم التي تحمل روح عصرهم ومجتمعهم فهما دقيقا.

إن اهتمام الكاتب والمتلقي العربي بفن الرواية السياسية، كان بمثابة الملجأ والمتنفس الذي يلجآن إليه ويستظلان به حين تضيق القلوب وتختنق صدورهم. وكانت مسرحا يمارس عليه إعلاء قيمة الجماعة والفرد على حد سوى، وتسليط الضوء بطريقة أدبية راقية ارتبطت بالإنسان العربي، لرسم ملامح الحياة الاجتماعية والسياسية، وتقديم لفهم أعمق يشمل مختلف القضايا.

فأدركنا كما أدرك عبد الرحمن منيف، أنها "ستكون.. تاريخ الذين لا تاريخ لهم، تاريخ الفقراء والمسحوقين، الذين يحلمون بعالم أفضل، ستكون الرواية حافلة بأسماء الذين لا أسماء كبيرة أو لامعة لهم، وسوف تقول كيف عاشوا وكيف ماتوا، وهم يحلمون، وسوف تتكلم الرواية - وبجرأة - عن الطغاة والقتلة والسماسرة والمخربة أنفسهم، ولا بد أن تقرأ الأجيال القادمة التاريخ الذي نعيشه الآن وغدا ليس من كتب التاريخ المصقولة، وإنّما من روايات هذا الجيل والأجيال القادمة.

اتخذت وظيفة السياسة مع وظيفة الابداع الفني في عالمنا العربي، لتكون انعكاسا لما له علاقة مباشرة بالواقع ل الروائي والتحولات الاجتماعية، فاستطاعت أن تحقق رؤية فنية صادقة، خالصة المعاني، نابضة بالحياة، متمردة وخارجة عن المألوف في مواجهة التحديات، والسعي لتنشئة أجيال الأمة على حب الوطن، فقد برهنت على التقارب بين الفن والواقع، وتوازيهما بالحياة عمقا وشمولا وتفردا، إلاّ أنّ الروائي السياسي لا يقدم اجابات نهائية عن القضايا التي يعالجها، وانما يقدم رؤية يحقق بها توعية وتنوير القارئ بضرورة سعيه الايجابي في استبدال الحق والخير والعدل بالظلم، ومواجهة كل أشكال الفساد، وضرورة انفتاحه وعدم تقوقعه وانغلاقه على ما يحد قدراته الذاتية .

الرواية الجزائرية العربية وعلاقتها بالسياسة :

لقد اعتبرت بداية السبعينيات ظهور التجربة الروائية الجزائرية، بأبعادها الفنية، التي ولأسباب عديدة تأخر إنتاجها إلى غاية بعد الاستقلال، حيث بدأ الاهتمام الفعلي بالإنتاج الروائي الجزائري باللغة العربية، اللغة الأم، رغم أن ما لا يمكن تجاهله وما كان سائدا آنذاك هو مدى صعوبة اقتحام عالم الرواية، لما يحتاجه هذا الفن من جماليات وآليات فنية خاصة، ومن بلاغة في اللغة وبيانها، لذلك حكم على الرواية الجزائرية في البداية أن تظل خاضعة لرتابة مقلقة، كان الاستعمار من أسبابها الرئيسية"، بالإضافة إلى انعدام التواصل بكتاب وروائيين من الدول العربية، وكذا عدم توفر دور النشر والطباعة، من أجل دعم الكتابة الفنية وخاصة الروائية.

إذن: هي أسباب عديدة أدت إلى تأخر ظهور التجربة الروائية الفنية إلى غاية "بداية السبعينيات وهي المرحلة التي شهدت القفزة الحقيقية للنهوض بالفن الروائي في الجزائر، حيث ظهرت العديد من الأعمال والتي نذكر من بينها رواية (اللاز).. [التي]خطت.. أولى خطوات التأصيل الحقيقي للنهوض بالخطاب الروائي الجزائري.

بالإضافة إلى روائيين آخرين مثل: عبد الحميد بن هدوقة وعبد الملك مرتاض، وغيرهما ممن كان لهم فضل هذه الانطلاقة، وفضل تأسيس هذا الفن في الجزائر وتطويره.

عن أما عن ملامح الرواية الجزائرية وصورها وموضوعاتها، ووعيها نقول: أنها ومنذ البدء سعت سعيا ايجابيا للكشف جوهر الحياة الجزائرية، ماضيا وحاضرا، خصوصا إن كانت قد ارتكزت منذ نشأتها الأولى على تلك التحولات التي شهدتها الجزائر، وكذا بتقديمها للنماذج الحية والملموسة لما عاناه وتعرض له هذا الشعب في ظل الاحتلال الفرنسي، وما ترتب عليه من تخريب ونشر للأمية والفقر، بالإضافة إلى ما آلت إليه البلاد بعد الاستقلال من عنف وتسلط واختلاف.

لقد شكلت الثورة الجزائرية نبعا فياضا وثريا لأنواع الابداع الأدبي، وفي فن الرواية بوجه خاص، وتحويل ما أنتجته حرب الجزائر في أعمال روائية روحا وجسدا والمتأمل في مراحل "تطور الرواية الجزائرية باللغة العربية من فترة ظهورها حتى اليوم، فإنه سيجدها مقسمة إلى عدة مراحل، تبدأ بفترة الظهور ثم فترة الرواية الواقعية في مرحلة السبعينات، تليها الأزمة الجزائرية التي تبدأ مع التسعينات من القرن الماضي ثم الروايات المعاصرة اليوم.

إن الموقف الأول في الكتابة الروائية الجزائرية مرتبط بما تبناه الروائي الجزائري لقضايا سياسية، مؤكدا فعاليته في الدفاع عما يحفظ حرية الوطن وخاصة إذا تعلق الأمر ببلد حديث الاستقلال، يسعى كأي مواطن إلى ممارسة حريته فيه إذا ما كان هذا الروائي ينتمي إلى جيل الثورة، الذي طالما آمن بالحرية وكل أبعادها، وتحركت دوافعه إلى تجسيدها في أعماله الروائية مع حرصه الشديد على استقلاله الوطني والفكري والابداعي .

وظائف الرواية السياسية:

- اللّجوء إلى السرد المفصّل والأحداث السياسية ونقدها نقدا بنّاءً.
- توضيح حقائق سياسية.
- الاعتماد على الاقناع والدعاية والالتزام
- النسق السياسي موجّه لخدمة الإنسان أكثر من أي نسق آخر.
- يقوم في مجتمع له معالمه وخصائصه الواضحة المميّزة.
- نزوعه إلى التسجيلية والواقعية ليصبح أكثر اقناعا.

والنتيجة التي ننتهي إليها هي: أنّ الرواية الجزائرية ارتبطت بالموضوعات السياسية ارتباطا وثيقا، التزمت فيها بتصوير أحداث الوطن وأزماته المتنوعة بدقة، فوظفها الروائيون توظيفا يكشف عن الصراعات الايديولوجية المختلفة، التي ظهرت أثناء الثورة التحريرية، وتصوير واقع القمع والاضطهاد، خلال مرحلة السبعينات التي كانت بداية لها، لتنتقل بعد ذلك الى الموضوعات السياسية خاصة بعد التحولات التي شهدتها الجزائر، متزامنة مع التغيرات التي مست كل المجالات على كافة المستويات، فكتبوا من أجل تحقيق ذلك الحلم المتمثل في تحقيق العدل والمساواة والحريات، فلجأ المبدع الجزائري رغم القيود وضيق مساحة الحريات، إلى ابداع كل ما له صلة بتلك القضايا.